NASS
مـــركـــز نـــون للدراســـات الاستـراتيـجيـة
Noon Association for Strategic Studies

رؤيـــة تـحليليـــة

أيمن الموصل ..تحديات ومخاطر

هشام الهاشمي

27 مارس / اذار 2017

Noon Association
for Strategic Studies
info@nooncenter.org
www.nooncenter.org

المقدمة:

ليس كل تريث عسكري يعد سيئا سياسياً وليس كل نصر عسكري عاجل يعد نافعاً استراتيجياً، وعلينا تذكر أمر مهم جداً أن التحرير يعني سلامة الرهائن من الأهالي الذين أكرهوا على أن يكونوا دروعا بشرية للدواعش!

الأهالي تحت النار بلا حول أو قوة، وكل من يحاول الهروب يقتل بنيران قناصة داعش، وكل عملية هروب يحققونها لا تخلوا من سقوط شهداء وجرحى، عملية تحرير الساحل الأيمن تحت ضغط هذه المعادلة تحتاج الى وضع خطة غير تعجيزية من أجل سلامة الآهالي والقوات المحررة، مع افتراض أن وحدات داعش اليأسة من النجاة سوف تقاتل حتى آخر لحظة من حياتها العدمية وهي تصدّر الأزمات والدمار والموت لكل من حولها.

أيمن الموصل تحديات ومخاطر:

إن تكتيك داعش الجديد في نشر وحداته المعرقلة لا يجمع بين المحليين والغرباء، وإن القيادة المشتركة العراقية تظهر وكأنها تسير بعمليات التحرير نحو ضفة النَّهر. هناك قراءة تقول بأن كل قيادات داعش من الصف الأول قد هربت من الموصل، وأن القيادة الميدانية اصبحت للعراقيين والسوريين وهما اللذان يؤمنان معركة الأرض المحروقة ضد القوات المحررة.

أن مشاركة التحالف الدولي بطائرات الدرونز والأباتشي بشكل كثيف، شكلت ضربة نوعية قاصمة لظهر حسابات داعش في المناورة والاستنزاف وأجهضت خططها بالاعتماد على السيارات المفخخة المدرعة. ولم تحصل داعش وهي في حافة الهاوية على الانتفاع من حالات اليأس التي تمر بها عناصرها المحاصرة، والتي من المفترض ان تعطيهم طاقة قتالية عظيمة لعرقلة عمليات التحرير.

وأظن أن مقاومة داعش اصبحت بالحد الأدنى بعد انكسارهم في وادي حجر وحي المنصور، هذا الأمر الذي جعل القوات المحررة تتكيّف تدريجياً مع مفاجئات داعش الجديدة، بقتال كر وفر في بادئ الأمر ثم بحماس أكثر وبغطاء كثيف لطيران التحالف الدولي.

وبات من الأسهل التصدي الآن لهجمات داعش العكسية وبالإمكان حرف اتجاهها وهو تطور كبير يحسب لقوات النخبة العراقية وأن كان محدوداً وفي بداياته. وليس مستغرباً في الحرب أن يكون هناك تراجع من أجل مصلحة عامة امام المحتل المجرم، فهم الواقع ضمن حسابات المصالح والمفاسد هو امتداد للسياسة الواعية حسب المدرسة الواقعية، والنصر على العدو يحتاج الى هذا النوع من الفهم!

وليس كل تريث عسكري يعد سيئا سياسياً وليس كل نصر عسكري عاجل يعد نافعاً استراتيجياً، وعلينا تذكر أمر مهم جداً أن التحرير يعني سلامة الرهائن من الأهالي الذين أكرهوا على أن يكونوا دروعا بشرية للدواعش! الأهالي تحت النار بلا حول أو قوة، وكل من يحاول الهروب يقتل بنيران قناصة داعش، وكل عملية هروب يحققونها لا تخلوا من سقوط شهداء وجرحى، عملية تحرير الساحل الأيمن تحت ضغط هذه المعادلة تحتاج الى وضع خطة غير تعجيزية من أجل سلامة الآهالي والقوات المحررة، مع افتراض أن وحدات داعش اليأسة من النجاة سوف تقاتل حتى آخر لحظة من حياتها العدمية وهي تصدّر الأزمات والدمار والموت لكل من حولها.

واستخدام القنابل والمدفعية والصواريخ غير الذكية في غير ضرورة وبشكل مُبالغ فيه، بالضد من إرهابي داعش في الساحل الأيمن، لن يُحقق النصر العاجل بل يجعل الدواعش يكسبون ورقةً رابحة، وهي غضب الاهالي من القصف الشديد والذي من طبيعي ان يسقط فيه الكثير من ضحايا المدنيين تبعا من غير قصد، ولكن ذلك سوف يُستثمر لصالح دعاية داعش وانصارها في تشويه النصر وسمعة القوات المحررة، القصف العنيف في حرب المدن المغلقة والمكتضة بالسكان، لم يُحقق نصراً في أي تحرير نظيف وفي أي معركة بالتاريخ، وايضا لم يحقق أي حسم سريع إلا باستخدام اساليب قذرة كتلك التي حدثت في هيروشيما وناجازاكي بمأساة القنبلة الذرية الأمريكية، او باستخدام تكتيك الانقاذ الذي قامت به القوات الخاصة الروسية لانقاذ رهائن مسرح موسكو عام ٢٠٠٢، وربما البعض يؤمن بطريقة الانقاذ التي نفذت في نموذج انقاذ رهائن كنيسة النجاة

في عام ٢٠١٠، لا تمتلك قوات النخبة العسكرية اساليب كافية لانقاذ الرهائن في المدن المغلقة او البنايات المغلقة بعد فشل المفاوضات. وعلى القيادة المشتركة العراقية ان تعتمد على قوات جهاز مكافحة الإرهاب في تحرير تلك الأحياء المغلقة وعلى المروحيات، وتوخي الحذر، فإن الأخبار الموثوقة والمتواترة من منطقة الموصل الجديدة وباب السراي وباب الطوب مؤلمة جدا، والاعتذار والتبرير والنفي العسكري ليس حلا.

لم يكن متاحاً لوحدات داعش المعرقلة والمحاصرة داخل احياء الساحل الأيمن الهروب والعودة إلى الصحراء والنزول على نموذج معركة تدمر والفلوجة والقبول بالهزيمة كأمر واقع، وبالتالي اضطرت عناصرها الى "بيعة الموت" وهروبهم بعد هذه البيعة نادر جدا لأن هذا هو الانتحار المعنوي. وما يهمنا هنا هو أثر هذا الحصار على خطط القيادة المشتركة العراقية التي قد الى تلجأ إعادة توزيع محاور القتال وفقا لمسرح العمليات، ويتم استبدال محور قوات الشرطة الاتحادية والرد السريع وتسليمه لقوات مكافحة الأرهاب وبالعكس، التكتيك الهادئ الذي اعتمدته قوات مكافحة الإرهاب في جنوب وغرب الساحل الأيمن كان أكثر انتاجا واقل نسبة بالأخطاء غير المقصودة في صفوف الأهالي والأبنية، والتي تكشف التقارير الأممية والأغاثية الكثير من أبعادها على +٤٠٠ الف انسان فقط داخل المدينة القديمة.

في شوارع المدينة القديمة داعش لا تزال تملك مفاتيح تعديل الموقف، قنص وكمائن وكثافة سكانية وشوارع ضيقة، وبفتح قوات النخبة العراقية محاور متعددة وبشكل متسلسل ومنسق، كما كان في معركتي معسكر الغزلاني ومطار الموصل حيث شكل مباغتة تكتيكية، وهذا نموذج يمكن البناء عليه لتحقيق الاختراق في معركة ابواب المدينة القديمة"السراي والطوب ولكش والجديد والبيض".

وحدات داعش يأسة وقذرة وهي محاصرة في غرب الموصل، هم كانوا يراهنون على انكسار الشرطة الأتحادية في معركة المطار وحاوي الجوسق، وعلى موجات العمليات الأنتحارية في جنوب المدينة القديمة، لذا بدؤوا هجوماً إجهاضياً استفزازياً على محورين في باب السراي وباب الطوب وكلاهما فشل.

قوات مكافحة الأرهاب والفرقة ٩ والحشد الشعبي، اكملوا طوقا محكما جنوباً وغرباً وشمالاً، لم تحاول وحدات داعش المعرقلة من التقرب منه، وكانت تعتمد على الاهالي كدروع بشرية في احياء الرسالة ونابلس ورجم الحديد وشقق اليرموك، وتقوم بقنص من يحاول الهروب، بفتوى الانحياز للعدو او التولي يوم الزخف، وهي بذلك تشبه الرمح الذي انكسرت سكينه، وبالتالي لجأت الى تفخيخ البيوت والطرقات والسيارات.

احياء حاوي الكنيسة و١٧ تموز والاصلاح الزراعي، لا تزال عمقا استراتيجيا لداعش من حيث مباني القيادة والسيطرة والمخازن العسكرية، فهذه الاحياء والمواقع هي أول المناطق التي منها خرجت الخلايا النائمة لداعش في حزيران٢٠١٤، وهي المسرح المتوقع لآخر عمليات التحرير في الساحل الأيمن، ففتح محورا شماليا سوف ينكد عليهم ويشتت جمعهم.

ولأن المدينة القديمة حيث الجامع النوري هي القاعدة الرمزية والحاضنة الأساسية للخلافة المزعومة، فأن الدواعش على استعداد بأن يرتكبوا أفظع المجازر ضد الأهالي لكسر إرادة المحررين وإحباطهم. وهذا هو المقصود من عملياتهم الانتقامية والاستفزازية بالضد من الأهالي لدفعهم إلى عدم التعاون مع القوات المحررة بسبب الأخطاء غير المقصودة واستعمالهم ككمائن من قبلهم. بعد حوادث الموصل الجديدة وحي الرسالة وحي الأغوات، اصبحت القوات المحررة مجبرة على عدم الاستعانة بسلاح الجو الا عند الضرورة، وبالتالي هي بحاجة الى اعادة ترتيب المحاور، وقوات النخبة العراقية لديها من العناصر المادية المساعدة في هذه المعركة الفاصلة بإذن الله ما هو كثير، توافر القدرة على القتال الليلي في مواضع الاقتحام، لإحداث الخرق وتوسيعه بسرعة، وبالامكان استعمال طائرات الدرونز والمروحيات والأباتشي، وتحييد استخدام المدفعية والقنابل غير الذكية والطائرات القاصفة .

قوات العمليات الخاصة كلهم مدربين على القنص والقتال الليلي، ولديهم القدرة على الانغماس الفوري في صفوف وحدات داعش كما فعلوا ذلك حينما حرروا المجموعة الثقافية في الايسر وعبروا نهر الخوصر، ومن متطلبات تحييد مفخخات داعش عمليات المباغتة والالتفاف وفتح اكثر من محور، وهذا يدفعهم للهروب كما في معركة حيي المنصور ووادي حجر.

المعادلة هي: المزيد من قوات العمليات الخاصة، واندفاعهم بسرعة تحت ظل المروحيات، وكلما تمكن المحررون من دفعهم تجاه المدينة القديمة واحياء النجار والرفاعي كلما كانت عملية دحرهم اسرع ويحررون مساحات إضافية، وفتح محور النهر سوف يعطي زخما كبيرا ويقلل الخسائر والتضحيات. واما عدم اكمال الإستعدادات الإغاثية في معارك تحرير المدن من مخيمات وخدمات طبية وغذائية عاجلة، هو سبب الكارثة التي تصيب الأهالي في غرب نينوى اليوم، فشلت اللجنة الوزارية العليا والمنظمات الدوليّة والمحلية في توقع حاجات النازحين من الساحل الأيمن لسببين:

1- أنها لا تزال تلملم جراحات الاهالي في الساحل الأيسر المحرر، وهناك تلكأ كبير في توفير المساعدات اللازمة بسبب عدة عوامل أمنية وعسكرية وقانونية وخدمية متعددة ومتداخلة.

2- افتراضهم أن مسرح عمليات النزوح في الساحل الأيمن سوف يكون مشابهاً لما وقع في الساحل الأيسر، وهذا خطأ كبير لا يقوم على حسابات عقلانية.